على عزت بيجوفيتش
(4)
من السجن إلى قيادة الشعب:

بعد موت الرئيس اليوغسلافي جوزيب بروز تيتو انطلقت القومية الصربية من عقالها وتصاعدت في الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي، حيث شهدت بلجراد تحولات في الفكر والصحافة والإعلام، كان من أبرز معالمها الهجوم الشرس على تيتو وتراثه وعلاقاته الخارجية وعلى الأخص علاقته بالدول العربية والمسلمة، وشن أنصار القومية الصربية حملات عنيفة ضد الإسلام والمسلمين في يوغسلافيا وخارجها .. كانوا يعملون في إطار الهياكل السياسية والإعلامية التقليدية تحت اسم الاشتراكية، ولكنها اشتراكية فارغة من المعنى، بل كانت تحتضر أمام زحف القومية العنصرية، فقد ظهرت مخططات جديدة تستهدف إخضاع القوميات والشعوب اليوغسلافية الأخرى تحت الهيمنة الصربية، باسم جديد هو (الاتحاد اليوغسلافي الجديد) وكان فى حقيقته (صربيا الكبرى) وليس فيه من يوغسلافيا سوى الاسم.

وكانت أول خطوة عملية في هذا الطريق إلغاء دستور 1975 الذي منح كوسوفا وضعاً سياسياً مساوياً لوضع الجمهوريات اليوغسلافية الأخرى، فأصبح لها ممثل في مجلس الرئاسة الفيدرالي في بلجراد، وتلا ذاك إلغاء كل مظاهر الحكم الذاتي التي كانت كوسوفا تتمتع به في ظل هذا الدستور، فلما تفجرت المظاهرات والاحتجاجات في كوسوفا نزلت الدبابات الصربية في الشوارع لقمع الانتفاضة، وكان هذا أول مسمار يُدق في نعش يوغسلافيا، ومن ناحية أخرى تأكدت توجسات الجمهوريات الأخرى من التوجهات الخطرة لانبعاث القومية الصربية فسعت إلى الانفصال بدءاً بسلوفينيا وكرواتيا وانتهاء بمقدونيا والبوسنة والهرسك.

اقترنت هذه التحولات في يوغسلافيا بانهيار مفاجئ للنظام الشيوعي في الاتحاد السوفيتي، ثم توالت الانهيارات في الأنظمة الشيوعية لدول شرق أوروبا.

هذه التحولات والأحداث هي التي صنعت المناخ السياسي الذي أسرع بالإفراج عن على عزت بيجوفيتش، وكان عليه بعد خروجه من السجن أن يتعامل معه من منظور جديد، فلم يعد على عزت مجرد مفكر ومناضل من أجل الحرية وإنما وجد نفسه قائداً وزعيماً لشعب يثق به ويريد أن ينتزع حريته ويدافع عن كيانه وهويته في مواجهة الأخطار المحدقة به.

ويعلق على عزت على هذه الأحداث في مذكراته فيقول: (لم يكن يخالجني أدنى شك أن هذا النظام الشيوعي المتحجر لا يمكن أن يستمر طويلاً .. ولكني لم أكن أتصور أن يكون سقوطه بهذه السرعة .. بل كنت أعتقد أننا قد نشاهد نوعاً من التراخي الداخلي الذي يسمح بشئ من التعدية والاختيارات السياسية للظهور .. ولكن الأحداث برهنت على خطأ هذا التصور فقد تبين أن النظام الشيوعي والحرية على طرفي نقيض، فإما أن تقضى الشيوعية على الحرية وإما أن يحدث العكس .. وهذا ما حدث: ففي منتصف العشرينيات من القرن الماضي دمرت الشيوعية الحرية، وفي نهاية القرن رأينا الحرية تدمر الشيوعية .. وكان الرمز هو سقوط جدار برلين في نوفمبر **1989** ثم توالت الانهيارات بعد ذلك.

كان على عزت – عكس ما زعمته وسائل الإعلام الصربية – يشعر أن تفكيك يوغسلافيا لن يكون في صالح المسلمين بصفة عامة ولا في صالح البوسنة والهرسك بصفة خاصة، ولذلك كان أحرص الناس على استمرار الاتحاد اليوغسلافي في إطار منظومة جديدة تضمن للقوميات المختلفة حظوظاً متساوية من السيادة والإدارة، ويضرب على الخلل في هذه الناحية بأمثلة من الهيمنة الصربية على الجيش والشرطة في جمهورية البوسنة، فبرغم أن المسلمين هم الأغلبية في البوسنة إلا أن كل الوظائف القيادية في الشرطة من الصرب و63.2% من عدد ضباط الجيش من الصرب ولا يمثل المسلمون في جيشهم إلا بنسبة 7% والباقي من جمهوريات يوغسلافية أخرى، ولذلك يقول على عزت: **(كنت مرتبطاً عاطفياً بيوغسلافيا ولكني كنت لا أحب الهيمنة الصربية).**

إنشاء حزب العمل الديمقراطي:

عرفنا من القرآن الكريم قصة يوسف النبي الصابر المستعصم الذي خرج من السجن إلى الحكم، وعرفنا حديثاً نيلسون منديلا المناضل الجسور الحكيم الذي خرج من السجن ليقود شعبه إلى الحرية، وينقذه من جحيم واحد من أبشع الأنظمة العنصرية في تاريخ البشرية، بنفس الطريقة خرج على عزت بيجوفيتش من السجن ليجد نفسه على رأس شعب يتطلع إلى قيادته، فيختاره زعيماً لحزب جديد هو حزب العمل الديمقراطي، ثم ينتخبه رئيساً لجمهورية البوسنة والهرسك، وقائداً يخوض به غمار حرب ضروس، شنها المعتدى الصربي الغاصب في ظروف مأساوية انعدم فيها التكافؤ بين جيش من أعتى جيوش أوروبا وشعب أعزل كان عليه أن يبنى قوة عسكرية من نقطة الصفر، وكانت هذه المهمة مجرد واحدة من معضلات كثيرة كان على القائد أن يتصدى لها .. ناهيك عن مواجهة كوارث أخرى كالتطهير العرقي والإبادة الجماعية والاغتصاب والقتل والتشريد والتجويع والحصار الدولي الذي حرم على مسلمي

البوسنة الحصول على السلاح للدفاع المشروع عن كيانهم ووجودهم .. وتكتمل المأساة بموقف أوروبي مشارك بالصمت حيناً وبالمؤامرة والتواطؤ مع العدوان الصربي أحياناً أخرى.

لقد تناولت مأساة البوسنة بالتحليل والتفصيل في كتاب بعنوان البوسنة في قلب إعصار، ولذلك لن أتطرق إلى ذلك في سياق هذا العرض لمذكرات على عزت، وإنما سأكتفي بالتعليق على بعض مواقفه المتميزة وانعكاسات الأحداث على فكره ومشاعره ورأيه الخاص في الشخصيات التي تعامل معها وكان أكثرها أشد وطأة وأكثر شراً من عتاة المجرمين الذين صادفهم في حياته بالسجن، وأشهد أن على عزت بيجوفيتش كان عفيفاً مهذباً حكيماً مدركاً لمواطن الضعف البشري في كل تعليقاته على هذه الشخصيات التعيسة أمثال السفاح ميلوسفيتش والكذاب الأشر كاراجيتش وقائد جيشه ملاديتش شيطان الإبادة الجماعية، ولورد أوين المضلل الكذوب وجنرال روز المتآمر الخبيث، هذه الصفات كلها لم ترد أبداً على لسان على عزت بيجوفيتش وإنما جاءت في كتابي وصفاً لحقيقة هذه الشخصيات كما رأيتها عارية من كل زينة، أما على عزت فهو طراز آخر فريد من البشر يصعب الارتقاء إلى مستواه ولكنك تزداد منه اقتراباً وله إعجاباً كلما ازدادت معرفتك به، وتشعر أحياناً بالدهشة عندما يطلعك على بعض التواضع لا يتطرق إليه الغرور بالنفس أو بالمنصب ولا يرى في نفسه مواهب أو قدرات فريدة دون بقية الناس، وفي هذا يقول: (انتصر حزب العمل الديمقراطي في انتخابات نوفمبر 1990 ووجدت نفسي من البداية زعيماً للحزب مع أنني لم افهم أبداً لماذا اختاروني زعيماً!؟ .. لقد كنت أفكر بيني وبين نفسي: إذا كنت أنا – مع ما فيّ من عيوب – هو أفضل الجميع فما هو حال الباقين!؟) .. ثم يتطرق إلى احتمال آخر تتجلى فيه روح الفكاهة فيقول: (لعل الأمر على غير ما أظن وأنه ليس من الضروري أن يكون الزعيم هو الأفضل، بل من يتمتع بعيوب كبيرة فإذا كان الأمر كذلك فإن عندي الكثير من هذه العيوب!!) ..

تم إعلان قيام (حزب العمل الديمقراطي) في 27 مارس 1990م، في ذلك الوقت كان القانون اليوغسلافي لا يزال يمنع قيام أحزاب أخرى غير الحزب الشيوعي وكانت العقوبة المقررة هي السجن عشر سنوات، غير أن على عزت أقدم على المغامرة وأحسب أن هذه خصلة أو سمة من سمات القائد الشجاع ولكن على عزت يقول: (لم أعتبر هذا شجاعة وإنما هي عادة ملازمة في مجرى حياتي فأنا لا أتورع عن شئ من المغامرة إذا لم يكن منها بُد .. حدث هذا سنة 1946 عندما التحقت بجمعية الشبان المسلمين (المحظورة) وانتهى بي الأمر إلى ثلاث سنوات بالسجن).

اشتمل برنامج الحزب على مبادئ هامة مؤسسة على الديمقراطية وحقوق الإنسان، وبرغم أن الحزب كان مقصوداً به تجميع كل المسلمين في يوغسلافيا تعويضاً لهم عن الاستبعاد المتعمد من كل نشاط سياسي، إلا أن برنامج الحزب اشتمل على إعلان صريح بأن عضوية الحزب مفتوحة لجميع الذين ينتمون إلى الثقافة الإسلامية والذين يؤيدون برنامج الحزب، وليس في برنامج الحزب نص يقصر العنصرية على المسلمين، وفي خطاب لعلى عزت بمناسبة إعلان افتتاح الحزب أراد أن يوضح لجماهير البشناق بصفة حاسمة أن هذا الحزب يمثل نقطة انطلاق فكري وسياسي جديدة وليس استمراراً للعهد البائد فقال يصف النظام الشيوعي السابق: (إن المحاولة الكبرى لخلق جنة أرضية بدون إله وبدون إنسان، وبالتأكيد ضد الله وضد الإنسان معاً .. هذه المحاولة قد انتهت إلى غير رجعة بفشل كامل). وهنا انفجرت القاعة بتصفيق حاد طويل .. وكان بعض الناس يعبرون عن مشاعر الغبطة بدموع الفرح فقد أدرك الجميع أن صفحة جديدة من تاريخ البشناق قد طويت وبدأت صفحة جديدة.

استقبال الجماهير للقيادة الجديدة:

استجابت السلطات الشيوعية بشئ من الفزع واستخدمت العبارات التقليدية في تزييف الحقائق والأكاذيب حيث وصف تليفزيون سراييفو قادة الحزب بأنهم (مجموعة من السجناء السابقين ومن أساتذة الجامعات الفاشلين وبعض السياسيين المتمردين) .. وكان هذا أقصى ما كان النظام المتهاوي قادراً عليه من إيذاء في ذلك الوقت أما على النطاق الشعبي فقد سرت موجة من حمى الحماس في الجماهير ونما الحزب نمواً سريعاً في أنحاء البلاد وأنشئت فروع للحزب في كل مدينة وبلدة، وكان على عزت في حركة دائبة وسفر متصل يخاطب الجماهير في كل موقع دون كلل أو ملل .. وقد حاولت السلطات الشيوعية منعه من دخول (بنيالوكا) ونجحت في ذلك أول مرة ولكن في الشهر التالي ذهب مرة أخرى إلى المدينة وقد اجتمع في ميدانها العام عشرون ألف بشناقي فخطب فيهم، وأنشئ فرع للحزب في بنيالوكا وانتخب الناس الدكتور/ حمزة مويباجيتش رئيساً للفرع.

لم تقتصر رحلات على عزت لحشد التأييد لحزبه على الداخل فقط بل سافر إلى بلدان أوروبية وأمريكية كثيرة ليشرح للبشناق المهاجرين حقيقة الأوضاع الجديدة ويدعوهم لمساندة الحزب.

كان بعض المسلمين اليوغسلاف ممن قابلهم على عزت في أمريكا يتوقعون في وقت مبكر أن الصرب يبيتون شراً مستطيراً لمسلمي يوغسلافيا ومن هؤلاء (ينازيالتاك دياجا) تحدث

إلى على عزت فى اجتماع عام فقال لـه: (يا سيدي هل أعددت العدة العسكرية لمواجهة الشتنك؟ (وهو يقصد القوميين الصرب الذين قاموا على مدى التاريخ بمذابح بشعة ضد المسلمين). إنك لم تفعل. حسناً! دعني أقول لك إنهم سيقتلونكم ويلقون بجثثكم في نهر درينا كما فعلوا من قبل .. سيفعلون هذا بكم مهما تحدثت عن التسامح الإسلامي والامتزاج العرقي في البوسنة .. سوف يذبحون شعبنا رغم كل شئ).

التسامح الإسلامي في فوتشا:

في الحرب الأهلية التي جرفت البوسنة (أثناء الحرب العالمية الثانية) بين الصرب والكروات كان أكثر الضحايا من المسلمين – وكانت مدينة (فوتشا) إحدى المواقع التي سالت فيها أكثر الدماء البريئة، ذهب على عزت هناك وكان خطابه تحت شعار (لا ينبغي أن تتكرر مجزرة فوتشا مرة أخرى أبداً) .. تحدث عن السلام والصفح والمغفرة وقال: (إن المسلمين اليوم يمرون بامتحان تاريخي وأنا أرفض فكرة العقاب الجماعي للصرب بتهمة ارتكاب جريمة قام بها فريق من الإرهابيين ضد المسلمين .. فالقضية ليست قضية صرب ومسلمين إنما هناك تصنيف آخر للناس .. هناك المجرمون القتلة والضحايا الأبرياء) .. كان الأطفال من بنين وبنات مبتهجين يلقون الزهور من الجسر في النهر حيث جرت مذبحة فوتشا .. واقترح على عزت أن توضع الزهور أيضاً على مقابر الضحايا الأبرياء من الصرب ووافق الناس، وفي ذلك يقول على عزت: (للأسف كانت هذه مثالية بلا مردود عملي.. ففي سنة 1992 فوجئ العالم بالإرهاب الصربي المروع الذي اجتاح المسلمين في فوتشا مرة أخرى، بل أسوأ مما حدث في الماضي فقُتل من قُتل وأجبر السكان الباقين على الهجرة القسرية .. ودمر الصرب كل مساجد المدينة وكان من بينها المسجد التاريخي الشهير (ألاديا) .. وهو تحفة معمارية من آثار القرن السادس عشر الميلادي).

دولة مدنية:

وفي (فيليكا كلاوتشا) تجمع ألفا إنسان يستمعون إلى على عزت فذهب في خطابه خطوة أخرى في طريق اللقاء مع كرواتيي وصربيي البوسنة حيث أكد أنه لا ينوى إقامة دولة إسلامية كما يُشاع عنه، إنما هي دولة مدنية وأن هذا يعتبر اختياراً استراتيجياً للشعب البشناقي (المسلم) .. قال: (إن البوسنة والهرسك جمهورية مدنية وليس إسلامية كما أنها ليست اشتراكية .. وحول هذا الهدف ندعو إخوتنا من الصرب والكروات أن يشتركوا معنا في بناء هذه الجمهورية .. ثم أشار في هذا الخطاب إلى نقطة هامة لأول مرة حين قال: إذا نفذت كرواتيا وسلوفينيا تهديدهما بالانسحاب من يوغسلافيا فلن تبقى البوسنة وحدها لتصبح

جزءاً من صربيا الكبرى، وإذا اقتضت الضرورة أن نحمل السلاح للدفاع عن البوسنة فسوف نفعل).

مؤامرة من داخل الحزب:

لم يكن حزب العمل الديمقراطي يخضع لأيديولوجية واحدة وإنما تتمثل فيه تيارات مختلفة وكانت مجموعة (ذو الفقار باشتتش) أحد هذه التيارات .. وكان هو نفسه يعتقد أنه زعيم المسلمين بلا منازع .. وكان على عزت من ناحيته يشعر بأنه يتجه إلى الانشقاق عن الحزب وفي يوم 18 سبتمبر بينما كان يجلس في مقر الحزب يعد لاجتماع سيُعقد في إليجا حين اقتحم عليه بدون استئذان مجموعة من أعضاء الحزب يبدو عليهم الهم والاهتمام فقالوا: **(إن ذو الفقار باشتيش، وفيلبوفيتش (من قيادات الحزب) قد أعلنوا – تواً – في مؤتمر صحفي أنهم استولوا على الحزب، وأن تبريرهم لذلك هو أن الحزب يتجه نحو اليمين وأن على عزت يقود الحزب تجاه الأصولية في حين أنهم يريدون أن يقودوا الناس إلى أوروبا) .. كان انقلاباً كلاسيكياً بدون الرجوع إلى قيادة الحزب ولا قواعده .. وظهرت عناوين الصحف في اليوم التالي (يوم للبكاء في البوسنة) .. كانت صدمة كبيرة للشعب الذي تلاحم في لحظة واحدة وفشل الانقلاب بأسرع مما يتصور الناس .. يقول** على عزت: **احتشدت الجماهير في الساحة الرياضية الكبرى ومنعوا فيلوفيتش وجماعته من الدخول ثم جاءوا إلي وحملوني على أكتافهم عالياً ..**

كان الشعب معنا بكل جوارحه .. وقد تأكدت هذا في سلسلة الاجتماعات الحزبية التي توالت بعد ذلك ثم كشفت انتخابات نوفمبر بشكل حاسم حقيقة الأمر فقد هُزم ذو الفقار باشتيش في انتخابات رئاسة الحزب.

شخصيات في حياة على عزت:

من رأى على عزت أن التكوين النفسي والسمات الشخصية لقادة الشعوب لها أكبر الأثر في تشكيل قراراتهم السياسية ودفع شعوبهم إلى الحرب أو السلام .. وأن شخصيات بعينها يمكن أن تكون سبباً في صنع كارثة أو تجنبها والخروج منها، من هنا جاء اهتمامه الشديد بالقادة الفاعلين في المعترك السياسي وسعيه الدائم للحوار معهم وسبر أغوارهم عن قرب، وقد حفلت مذكراته بالحديث عن كثير من الشخصيات السياسية وتحليل مواقفهم.

فرانيو توجمان:

تكرر اسمه كثيراً في أزمة يوغسلافيا عندما كان رئيساً لجمهورية كرواتيا وهو دكتاتور على النمط الذي كان شائعاً في دول أوروبا الشرقية.

يقول على عزت عنه: (سمعت اسمه وأنا في السجن وكان اسمه يذكر دائماً في البوسنة مع مشاعر مختلطة .. وقررت أن أتعرف إليه عن قرب .. التقيت به فى مقر حزبه بزغرب وابتدأت المناقشات التي سرعان ما تحولت إلى اختلافات في الرأي، وعدم اتفاق مستمر بعد ذلك لسنوات طويلة .. استضافني على الغداء في مطعم بزغرب فقاد السيارة بنفسه .. وانتهز الفرصة ليجعل نفسه واضحاً تماماً فقال لي بالحرف الواحد: يا سيد على عزت لا تعول كثيراً على إقامة حزب مسلم فهذا خطأ كبير لأن شعب الكروات والمسلمين في البوسنة شعب واحد، فالمسلمون كروات وهذا هو ما يشعرون به، قلت له معترضاً: إنك يا سيدي تخدع نفسك فالمسلمون يشعرون فيما بينهم وبين أنفسهم بأنهم مسلمون .. إنهم يحترمون الكروات كثيراً ولكنهم ليسوا كرواتاً .. شرع توجمان يسرد لي بعض الحجج التاريخية لتأييد وجهة نظره، وأنه يعرف التاريخ أكثر مني لأنه يحمل درجة الدكتوراه .. فأجبته بأنني أتحدث عن البوسنة والهرسك الآن. وهذا ما أعرفه معرفة تامة أكثر منك .. فقال: سوف ترى أن الحزب الكرواتي في البوسنة (HDZ) هو الذي سيجتذب أصوات المسلمين والكروات جميعاً في البوسنة وسيحصل على **70**% من أصوات الناخبين، فقلت له إن حزبك هذا لن يحصل على أكثر من **17**% فقط وهكذا جاءت بالفعل نسبة الكروات **17**% في انتخابات نوفمبر **1990**م ولم يكن في الأمر سر فنتيجة الانتخابات كانت انعكاساً طبق الأصل من تعداد السكان في البوسنة حيث يمثل الكروات فيه **17**% فقط).

فكرت عبديتش:

فكرت عبديتش أحد القيادات السياسية المحسوبة على المسلمين، ولكنه كان رأسمالياً من نوع غريب كون ثروته من شركة أنشأها في عهد تيتو تتاجر في المواد الغذائية تسمى (أجروكوميرش) وهو رجل زئبقي له أصدقاء كثيرون بين الشيوعيين الصرب والكروات والقوميين ومن كل ملة وهو يساعد الكل والكل يساعدونه – هو زئبقي وولاءاته أيضاً زئبقية متنقلة حيث يجد مصلحته، ارتبط اسمه بالتمرد على بني جلدته من المسلمين في غرب البوسنة سنة **1993** في أحلك مرحلة من مراحل الصراع الدموي في البوسنة فأحدث انشقاقه صدمة كبيرة وأذى شديداً للمسلمين في البوسنة، فقد كان يملك أربعة آلاف مقاتل مسلح .. وقد استطاع صرب كراجيتش تحقيق أحد أهدافهم الاستراتيجية وهو إثارة الصراع بين القوات البوسنوية وكان انشقاق فكرت عبديتش هو الوسيلة إلى ذلك .. يقول على عزت: (لقد انتهت صفحة عبديتش نهاية مؤسفة .. وكان هناك نظريات لتفسير سلوك عبديتش .. ليس عندي أدلة دامغة عليها .. ولكن الصرب قالوا عنه أنه رجلهم منذ البداية وأنه كان على علاقة مستمرة مع الجنرال ملاديتش منذ الأيام الأولى في الحرب .. وكان أثناء الحرب يمد الصرب

بكميات هائلة من الطعام والوقود) .. هكذا كان تعليق على عزت على رجل خان شعب البوسنة وارتكب جريمة لا تغتفر في حق وطنه وشعبه .. تعليق هادئ موضوعي ومتحفظ يليق بقائد شريف عفيف وفارس كريم لا يجهز على عدوه حينما يسقط تحت قدميه مهزوماً.

على طريق المصالحة إلى أقصى مدى:

كان على عزت مستعداً أن يذهب إلى أبعد المدى في سبيل تحقيق الوحدة والمصالحة وحسن النية مع جميع الأطراف والقوى السياسية في البوسنة، ولذلك فضل أن يشكل حكومة ائتلافية رغم أنه كان يستطيع ألا يفعل لأن حزبه فاز بأغلبية المقاعد في البرلمان، فعل هذا من أجل التمازج الوطني فأشرك الحزبين الصربي (SDS) والكرواتي (HDZ) ولكنه يعترف بقوله: **لقد أثبتت الأيام أنني كنت مخطئاً وإن كنت ما أزال أعتقد أن هذه المحاولة كانت جديرة بالاهتمام ولو كنا اتخذنا منحى آخر لقامت الحرب في وقت أكثر تبكيراً،** وتفسيره لفشل التجربة فيما يقول: **(لقد ظهر من البداية أن الحكومة تسلك سلوكاً سيئاً فكل حزب فيها كانت لديه فكرة مختلفة عن هوية البوسنة ومصيرها، وبدا أن كلا الحزبين ليس إلا امتداد للحزب الأم سواء في بلجراد أو زغرب .. وهكذا انفتح الباب على مصراعيه للتدخل الأجنبي).**

في جحر الثعابين:

عندما ينتقل على عزت إلى الحديث عن الأزمة اليوغسلافية تتسع آفاق العمل السياسي والتزاماته ويجد نفسه في دوامة من الصراعات القومية والتعصبات العرقية والأيديولوجية ويصطدم برجال يقولون شيئاً وهم يضمرون شيئاً آخر .. أدلى بتصريح صحفي في أول رحلة له إلى بلجراد للالتحاق بمجلس الرئاسة اليوغسلافية في يناير 1991 قال: **(لقد اتفق الرؤساء على أن الجميع مع يوغسلافيا وعلى أن البوسنة دولة ذات سيادة داخل يوغسلافيا .. وأن تكون يوغسلافيا دولة ديمقراطية تتساوى فيها الجمهوريات والشعوب والقوميات .. والتزمنا السوق الحرة وحرية حركة الأفراد، وانتقال البضائع ورءوس الأموال وقوة العمل فيما بين الجمهوريات .. أما مشكلة أن تكون يوغسلافيا فيدرالية أو كونفيدرالية فهي مشكلة مصنوعة .. فالديمقراطية هي الأساس .. هذا هو موقفنا المبدئي في المفاوضات القادمة).**

يبدو من كلام على عزت في هذه المرحلة المبكرة من حياته السياسية أنه كان يجهل نوعية الشخصيات التي تعامل معها في مجلس الرئاسة اليوغسلافية فهو الوحيد من بينهم الذي لم يلتحق بالحزب الشيوعي وليس لديه خبرة بالمناخ الحزبي العفن الذي عاش فيه هؤلاء الناس الذين درجوا على النفاق وتدبير المؤامرات الشخصية لإزاحة الآخرين من طريقهم نحو

السلطة والنفوذ والفوز بامتيازات الحزب .. وما الكلام الذي اتفقوا عليه في هذا الاجتماع إلا محاولة لإرجاء لحظة الصدام حتى يتمكن كل واحد منهم من أدواته ووسائله المناسبة للانقضاض الناجح في الوقت المناسب، ولقد ظهرت أعمالهم فيما بعد مناقضة لكل ما تظاهروا بالاتفاق عليه، فلم يكن ميلوسفيتش الصربي ولا توجمان الكرواتي يعتقدان حقاً في استقلال جمهورية البوسنة أو سيادتها وكلاهما كان طامعاً في أراضيها، ولم يكن أحد منهم معنى بالديمقراطية فعقولهم شمولية ومصالحهم الشخصية لا تُحقق إلا بالدكتاتورية، ولم يكن أحد منهم معنى ببقاء يوغسلافيا موحدة فكل واحد كان يتطلع إلى الانفصال والاستقلال حتى ميلوسفيتش نفسه لأنه كان يحلم بصربيا الكبرى المهيمنة على الجميع وإنما اتخذ يوغسلافيا غطاء لتحقيق مآربه .. ولم يكن هناك في الحقيقة سوى رجل واحد – رغم كل المزاعم والاتهامات التي وجهت إليه كذباً وافتراءً – ذلك هو على عزت، فقد كان الوحيد الذي آمن بإمكانية بقاء يوغسلافيا موحدة في إطار ديمقراطي وعلى أساس من المساواة والحرية لكل الشعوب والقوميات.

محمد يوسف عدس
مستشار سابق بهيئة
اليونسكو
لندن